ملكوت الله وعالمنا المعاصر

بقلم : شكري حبيبي

لابد أن الكثيرين يتساءلون لماذا يسمح الله بالآلام والمآسي في عالمنا؟ ولماذا يبدو وكأن الشر هو في استفحال مستمر؟ ولماذا نرى البدع المختلفة تنتشر ويكثر أتباعها، بينما تواجه رسالة الإنجيل بشارة الخلاص المفرحة عقبات عديدة. ويتساءل البعض أيضا : إذا كان الرب يسوع المسيح قد أتى وأعلن ملكوت الله كما تقولون، فإن كل المظاهر في عالمنا تشير إلى العكس من ذلك تماما. فأين هو ملكوت الله ؟

لا نكشف سرا إذا قلنا أنه سبق للرب يسوع المسيح عندما كان على الأرض، أن أجاب عن مثل هذه التساؤلات. والمعروف أن المخلص المسيح كان يكلّم الجموع بأمثال من واقع الحياة التي كان يعيشها الناس في أيامه. وقد قصد من خلالها أن يكشف عن المعاني الروحية التي يريد أن يعلنها للبشر، وخاصة تلك المتعلقة بمفهوم ملكوت الله. ودوّن لنا البشير متى في الأصحاح الثالث عشر من بشارته العديد من هذه الأمثال. وبدأها بمثل الزراع الذي خرج ليزرع. فشبّه المسيح ملكوت الله بإنسان خرج ليزرع بشارة الملكوت، أي بشارة الإنجيل المفرحة، لكن هذه البشارة واجهت أربعة أنواع من البشر. المزروع على الطريق، والمزروع على الأماكن المحجرة والمزروع بين الشوك، هذه جميعها لم تأت بأي ثمر. وكان آخرها النوع الذي زُرع في أرض جيدة، فأعطى ثمرا كثيرا. (راجع الإنجيل بحسب بشارة متى١٣:١-١٨،٩-٢٣)

ثم قدّم المسيح مثلا آخر فقال: " يشبه ملكوت السموات إنسانا زرع زرعا جيدا في حقله . وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زوانا في وسط الحنطة ومضى. فلما طلع النبات وصنع ثمرا حينئذ ظهر الزوان أيضا. فجاء عبيد رب البيت وقالوا له ياسيد أليس زرعا جيدا زرعت في حقلك. فمن أين له زوان. فقال لهم. إنسان عدو فعل هذا. فقال له العبيد أتريد أن نذهب ونجمعه. فقال لا. لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه. دعوهما ينميان كلاهما معا إلى الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولا الزوان واحزموه حزما ليحرق. وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني."(بشارة متى ١٣:٢٤-٣٠)

فماذا قصد المسيح بهذا المثل؟ يبدو واضحاً من طلب التلاميذ للمسيح لكي يفسر لهم هذا المثل فيما بعد، أنهم لم يفهموا ما أراد المسيح إعلانه من حقائق روحية عن ملكوت الله من خلاله. وهذا ليس بالأمر الغريب، لأن المسيح كان يكشف لهم أسرارا جديدة وصفها بأسرار ملكوت الله. وكان يصعب على التلاميذ الذين ولدوا وتربوا في بيئة يهودية أن يدركوا هذه الأسرار لوحدهم. لاسيما

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

أن مفهومهم لملكوت الله كان مفهوما أرضيا ماديا، يتعلق بتحرير اليهود السياسي وملك المسيح عليهم. لكن المخلص المسيح في نفس الوقت أكد لتلاميذه أنه لهم قد أُعطي أن يعرفوا أسرار ملكوت السموات. وليس هذا فحسب بل أضاف قائلا: "طوبى لعيونكم لأنها تبصر. ولآذانكم لأنها تسمع. فإني الحق أقول لكم إن أنبياء وأبرارا كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا. وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا." (بشارة متى١٣:١٦-١٧) وهنا أكد المسيح وبكل وضوح أنه بمجيئه إلى عالمنا كشف الستار عن خطة الله الأزلية لخلاص الإنسان، وأعلن بالتالي ملكوت الله. أجل، لقد كان التلاميذ يعيشون أياما فريدة من نوعها يرون فيها تحقق وعد الله القديم بخلاص الإنسان، وإتمام النبوءات التي أعلنها الله لأنبيائه منذ مئات السنين. وتشهد أيضا بدء العصر الجديد عصر ملكوت الله.

شرح الرب يسوع المسيح لتلاميذه هذا المثل فقال: "الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان. والحقل هو العالم. والزرع الجيد هو بنو الملكوت. والزوان هو بنو الشرير. والعدو الذي زرعه هو إبليس." (بشارة متى١٣:٣٧-٣٩) إن الزارع إذن هو المخلص يسوع المسيح نفسه الذي هو ابن الإنسان. أما الحقل فهو العالم كله، أي الجنس البشري بأسره. ولقد أتى المسيح إلى عالمنا لكي يحرر من عبودية الخطية وإبليس، كل من يؤمن به وبعمله الكفاري على الصليب وبقيامته المجيدة، ويجعله من أولاد الله. هذا هو الزرع الجيد الذي زرعه المسيح، إذ فرز لنفسه ومازال يفرز أناسا من كل قبيلة وشعب وأمة ولسان ليكونوا شعبا له. فرزهم ليملك عليهم وليكونوا بني الملكوت، أي أعضاء في ملكوت الله. أما الزوان أي الزرع الفاسد فهو بنو الشرير . أي كل من لم يقبل خلاص الله المعلن بواسطة المخلص يسوع المسيح، واستمر في طريق الشر والإثم . وبالطبع فإن العدو الذي زرع الزوان هو إبليس الشيطان، الذي يعمل على تضليل الإنسان وخداعه ، لكي لا يأتي إلى المخلص المسيح ويتحرر من عبودية الخطية. إن الشيطان إذن هو مصدر كل شر وفساد وضلال في عالمنا، فهو زارع الزوان، أي الزرع الفاسد.

لقد أراد الرب يسوع المسيح بهذا المثل أن يكشف لنا عن حقيقة هامة وهي: صحيح أن ملكوت الله قد أتى وبدأ بمجيء المسيح المخلص، لكن هذا لايعني إنتهاء الشر والفساد من عالمنا في الدهر الحالي، مع كل ما ينتجه ذلك من مآسي وآلام. لابل إن الشيطان سيعمل ليزرع الزوان، أي التعاليم المضلّة والبدع، لكي تنتشر وتضل الكثيرين. وهذا يجيبنا على التساؤلات التي طرحناها في بداية هذا المقال، عن أسباب سماح الله لاستمرار وجود الشر، وحصول النكبات والمآسي في عالمنا، وانتشار البدع، بالرغم من بدء ملكوت الله. إن عالم ملكوت الله وعالم الشر والفساد، وكذلك بنو الملكوت وبنو الشرير، سيكونان موجودان إذن جنبا إلى جنب في الدهر الحالي حتى انتهائه. ولهذا تابع المخلص المسيح شرحه للمثل فقال: "والحصاد هو انقضاء العالم. والحصادون هم الملائكة. فكما يُجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم. يُرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم. ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يضـــيء الأبـــرار كالشمس في ملكوت أبيهم. من له أذنان للسمع فليسمع." (بشارة متى١٣:٣٩-٤٣)

إن الله إذن لن يدين الأشرار و يقضي على الشر وإبليس، إلا عند انتهاء العالم بالمجيء الثاني للمسيح ويوم الدينونة. عندئذ سيدين الله الأشرار وكل من رفض خلاص الله ويطرحهم في بحيرة النار، ويتم القضاء النهائي على إبليس الشيطان. أما الذين قبلوا خلاص الله وصاروا من أولاد الملكوت، فسيعيشون مع الله والمسيح مخلصهم إلى الأبد. عندها سينتفي الشر وكل ألم، ويسود البر والحق، ويعم الفرح والسلام الحقيقيان.

لعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: من أية فئة تريد أن تكون قارئي العزيز؟ فئة أولاد الملكوت الذين يعيشون مع الله إلـــى الأبد؟ أم فئة بني الشرير الذين سيدينهم الله ويلقي بهم في بحيرة النار إلى الأبد؟ أرجو أن تكون من الفئة الأولى. وتأتي بالتوبـــة والإيمان بشخص المخلص المسيح، الذي أتى من السماء خصيصا من أجلك. ومات على خشبة الصليب وقام من بين الأموات لكي يهبك الغفران الكامل والخلود. ولا يسعنا في الختام إلا أن نقول مع الرب يسوع المسيح: "من له أذنان للسمع فليسمع."

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service